

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[15] على أنفسهم بما ارتكبه من فطيع الفعالم، وما اقترفوه من شنيع الأعمال إـ ذ قالت: "أطننت يا يزيد ... أن" بنا على الأ هواناً، وبك عليه كرامة، وأن" ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك ييمستوثقة والأُمور متسقة، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا، فمه مه أنسيت قول الأ عز وجل: (ولا يحسبن الذين كفروا أننما نملي لهم خير لأنفسهم إـ نّما نملي لهم ليزدادوا إـ ثماً ولهم عذاب مهين) ". جواب على سؤال: إـ نّ الآية الحاضرة تجيب ضمناً على سؤال يخالغ أذهان كثير من الناس وهو: لماذا يرفل بعض العصاة والمجرمين في مثل هذا النعيم، ولا يلقون جزاءهم العادل على إـ جرامهم؟ يفاـ نّ القرآن الكريم يردّ على هذا التساؤل الشائع قائ: إـ نّ هؤلاء فقدوا كل قابلية للتغيير والإصلاح، وهم بالتالي من الذين تفتضي سُنّة الخلق ومبدأ حرّية الإنسان واختياره أن يتركوا لأنفسهم، ويوكّلوا إـ لى أنفسهم ليصلوا إـ لى مرحلة السقوط الكامل، ويستحقوا الحدّ الأكثر من العذاب والعقوبة. هذا مضافاً إـ لى ما يستفاد من بعض الآيات القرآنية من أننّ سبحانه قد يمدّ البعض بالنعمة الوافرة وهو بذلك يستدرجهم، أي أننّ يأخذهم فجأة وهم في ذروة النعمة، ويسلبهم كلّ شيء وهم في أوج اللّذة والتمتع، ليكونوا بذلك أشقى من كلّ شقي، ويواجهوا في هذه الدنيا أكبر قدر ممكن من العذاب، لأن فقدان هذا النعيم أشدّ وقعاً على النفس، وأكثر مرارة كما نقرأ في الكتاب العزيز: (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أحذناهم بغتة فاـ ذا هم مبلسون)(1). _____ 1 - الأنعام، 44.